المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:07، العدد:02 (2023)، ص282-300

رحلات النّخب بين تونس والجزائر وأثرها في التواصل الثقافي والفكري بين البلدين خلال النصف الأول من القرن العشرين

Elite trips between Tunisia and Algeria and their impact on cultural and intellectual communication during the first half of the twentieth century

سعيد بودينة
جامعة سطيف 02 (الجزائر)
s.boudina@univ-setif2.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/10/11
تاريخ القبول:
2023/11/18

الكلمات المفتاحية:
- ✓ التواصل الثقافي
- ✓ تونس
- ✓ الجزائر
- ✓ الرحلات

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تبيين الاسهام الذي قدمته رحلات النخب بين الجزائر وتونس، في سبيل توطيد التواصل والتفاعل الثقافي والفكري وحتى الإصلاحي بين القطرين المذكورين، وذلك عن طريق ما كان ينقله هؤلاء من أخبار ومعلومات مما شاهدته أعينهم أو مما روي لهم إلى الشعبين التونسي والجزائري على حدّ السواء، وإحداث تقارب وتضامن من أجل مقاومة الاستعمار الفرنسي ثقافيا وفكريا. ومثلت الصحافة والتعليم ركائز تلك المقاومة، ويبدو أنّ الاستعمار كان على علم بذلك التواصل بين الشعبين، فلذلك عمل على عزل العلماء ومصادرة الصحف، ومنع تنقل النّخب بين الجزائر وتونس من أجل الحيلولة دون قيام ذلك التواصل الفكري، وبالتالي نشوء جبهة موحدة ضده في المغرب العربي تؤدي حتما إلى زعزعة تواجده ومصالحه بالمنطقة. وقد نتج عن تلك الرحلات نتائج أهمها؛ التمازج العاطفي والوجداني بين الشعبين في كثير من القضايا المهمة مثل: قضايا الانتماء والهوية، وتأثير تونس الثقافي على الجزائريين، ممثلا في دور تونس وجامعتها الزيتونة في النهضة الإصلاحية بالجزائر وكذا الثقافية والتعليمية.

Article info

Received:
11/10/2023
Accepted:
18/11/2023

Key words:
- ✓ cultural communication
- ✓ Tunisia
- ✓ Algeria
- ✓ trips

Abstract:

This paper aims to demonstrate the contribution made by elite trips between Algeria and Tunisia. in order to strengthen cultural, intellectual and even reformist communication and interaction between the two countries in question, This was done through the news and information they were transmitting from their eyes or to the Tunisian and Algerian peoples alike. and creating convergence and solidarity in order to resist French colonialism culturally and intellectually, The press and education represented the pillars of that resistance, and colonialism seems to have been aware of that communication between the two peoples. This has led to the isolation of scientists and the confiscation of newspapers, preventing the movement of elites between Algeria and Tunisia in order to prevent such intellectual communication. Thus, a united front has been established against him in the Maghreb, undoubtedly undermining his presence and interests in the region .These flights have resulted in results; The most important of them is the consciousness of the two peoples on many important issues, such as the issues of affiliation and identity, the cultural influence of Tunisia on Algerians, represented by Tunisia's role and its olive university in the reformist renaissance in Algeria, as well as cultural and educational issues

مقدمة

تعتبر رحلات النخب بين تونس والجزائر، وخصوصا منها رحلات العلماء والمفكرين والصحفيين، من أهم مظاهر التواصل بين البلدين أثناء الفترة الاستعمارية، حيث أدّت دورا مهما في تحقيق وتوطيد الصلات الثقافية والفكرية، التي كشفت جانبا من سياسة الاستعمار القمعية ضد المسلمين في البلدين، وبالأخص في الجانب الثقافي، أين ارتكزت تلك السياسة على محو المقومات الشّخصية لمسلمي الجزائر وتونس، و"**إيجاد نمط ثقافي يتماشى والرغبات الاستعمارية**".

وتقدم تلك الرّحلات العلمية على وجه الخصوص رصيدا سرديا علميا وتاريخيا في غاية الأهمية، فهي تعكس لنا الوضع المعاش في تلك الفترة في كل جوانبه سلبا وايجابا، وتبرز لنا أيضا دّقة الملاحظة والوصف لدى هؤلاء الرحالة لظاهرة من الظواهر، وتكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكل عبر الرحلة، والأفكار التي تسربت عبر سطور الرحالة، والانتباهات التي ميّزت نظرتهم إلى الناس والافكار، فأدب الرحلة عل هذا الصعيد، يشكل ثروة معرفية كبيرة، ومصدرا للقصص والظواهر والأفكار، فضلا عن كونه مادة سردية مشوقة تحتوي على الطريف والغريب مما لاحظته أعين هؤلاء الرحالة، ووعي يُلم بالأشياء ويحللها ويراقب الظواهر ويتفكر بها. والرحلات المتبادلة بين البلدين فإنها في واقع الامر تؤرخ لفترة زمنية معينة.

والرحلات بين الجزائر وتونس مرماها لا يخرج عن هذا الإطار. وعليه يمكننا طرح الإشكالية الآتية: **إلى أي مدى أسهمت رحلات النّخب في إيجاد تواصل ثقافي وفكري بين الجزائر وتونس في النصف الأول من القرن العشرين؟** وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية هي:

- **ما هو مفهوم الرحلة في مختلف أنواعها وأغراضها؟**
- **من هم أبرز النّخب المفكرة والمثقفة التي تنقلت وارتحلت بين القطرين؟**
- **ماهي أهم القضايا التي كانت محل اهتمام النخبة المرتحلة؟**
- **كيف تعامل الاستعمار مع رحلات النخب وما موقفه منها؟**
- **ما التأثير الذي تركته رحلات النخب على جسور التواصل بين القطرين؟**

وكان هدفنا من هذه الدراسة هو وضع القارئ في الإطار التاريخي والفكري لتنامي فكرة التواصل بين تونس والجزائر في ميادين الفكر والنهضة والدين، والوقوف على أهم رموز ذلك التواصل من مفكرين ورجال إصلاح، وتبيين دور وتأثير الرحلة ماضيا وحاضر في تاريخ الشعوب والأمم. ومنهجيتنا في إنجاز هذه الدراسة التاريخية هو العودة إلى المظان الأساسية للمادة التاريخية لموضوع دراستنا مثل: صحافة البلدين آنذاك وخصوصا الصحافة الإصلاحية (مجلة السعادة العظمى، الشهاب، البصائر، الوزير...الخ)، والمنجزات الفكرية للرّحالة مثل؛ موسوعة محمد الخضر حسين (خمسة عشر مجلدا)، ودواوين الشعر مثل ديوان سعيد ابي بكر (السعيديات)، وأرشيف الاستعمار الفرنسي وخصوصا التونسي منه، ومحاولة استخراج المادة العلمية.

1. مدخل إلى الرحلة: مفهومها وطبيعتها

تعتبر الرحلات التي قام بها أعيان وعلماء تونس إلى الجزائر، أو العكس على اختلاف أغراضها وطبيعتها جسرا للتواصل بين الجزائر وتونس في مطلع القرن العشرين في ميادين الفكر والثقافة والإصلاح. وحريّ بنا قبل التّعرض لأهم هذه الرحلات النّخبوية، أن نضبط ماهية الرحلة وأنواعها وغاياتها وتأثيرها على المرتحل وعلى البلد المرتحل إليه، **وكيف تعدّ الرحلة رافدا من روافد التّعلم والتحضر والتثقف لدى الفرد والمجتمع في ذات الوقت؟**

الرحلة في مفهومها المتفق عليه لدى العديد من علماء ومفكري الإسلام؛ هي فن من فنون التعلم والتأدب واكتشاف الغير، إذ يعتبرها الإمام الغزالي: "**نوع حركة ومخالطة ...مع زيادة تعب ومشقة، وأنّ الفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب، وأنّ الانسان لا يسافر إلاّ في غرض يحركه ويدفعه، تعلق ذلك بأمور دينية أو دنيوية لطلب العلم أو العبادة أو غيرهما**" (الأحمر وعطلاوي، 2017، صفحة 244).

كما يعتبر ابن خلدون: "**الرّحلة في طلب العلم ولقاء الأساتذة مزيد كمال من التعلم... فالرحلة لا بدّ منها في العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ والتلقي عن الرجال**" (حسين، 2010، صفحة 5433).

وفن الرحلة قد يضيف للرحالة من حيث العلم والفكر مالا تضيفه الكتب والمراجع والأساتذة، لكثرة ما يدونه هؤلاء الرّحالة مما تراه أعينهم أو تسمعه آذانهم، فمنهم من اهتمّ بالطابع الديني لمساجلاته، ومنهم من اهتمّ بالعلم ورجاله، ومنهم من تحدث عن المدن ووصف المسالك والممالك. وأعمال الرحالة أصبحت لا غنى عنها للمؤرخين والجغرافيين والأدباء وعلماء الاجتماع ...الخ (سعد الله، 1985، صفحة 203).

ولذلك فإنّ للرحالة والرحلة فضائل كثيرة لا تحصى، منها أنها حفظت جانبا عظيما من التاريخ، ونقلته للأجيال المتعاقبة من خلال مؤلفاتهم مثل: رحلة ابن جبير، ورحلة ابن بطوطة، ورحلة العبدري.... فضلا عن تأثير الرحلة في الجانب الأدبي والاجتماعي من تلاقي الأجناس واكتساب الأصحاب والتعرف على عادات وتقاليد المجتمعات، وإثراء الحياة الأدبية بروائع القصائد والنّثر، تيمنا واحتفاء وإنصافا لأهل البلد المستضيف للرحالة، فيذكر محاسنها ويغتبط بما يجده من أهلها من احتفاء ومؤانسة حتى يقال للمغترب (الرحالة) "**يا غريبا كن أديبا**" (حسين، 2010، صفحة 5439)

2. الرحلات التونسية إلى الجزائر

1.2. رحلة محمد الخضر حسين

أولى الإمام محمد الخضر حسين[1] عناية بالغة بأدب الرحلات منذ شبابه، وذلك لإدراكه بأهمية الرحلة في تكوين شخصية المرتحل ثقافيا وعلميا، وتوسيع مداركه وخبراته أو بالنسبة للمجتمع الإسلامي من حيث النشاط الذي يقوم به الرحالة في المناطق التي ينزل بها بإلقاء المسامرات العلمية والخطب التوجيهية، وكذا المحاورات الأدبية (مواعدة، 1974، صفحة 232).

وقد قام الخضر حسين بالعديد من الرّحلات في مساره الإصلاحي، زار خلالها بلدان المشرق العربي، وبلدان أوربية مختلفة. وقد قيد حيثيّات هذه الرّحلات بمقالات وصفية نشرها في مجلات وصحف تونسيّة وغير تونسية. وما يهمنا من تلك الرّحلات، رحلته إلى الجزائر عام 1904 المسماة "**بالرحلة الجزائرية** "، التي تحكمت فيها عدة اعتبارات، منها متانة الصّلات التي كانت تربط الجزائر بتونس، فهي تتجاوز وحدة الجوار إلى النّسب والمصاهرة بين العائلات التونسية والجزائرية، خصوصا بين الجنوب التونسي ومنطقة الجنوب الشرقي الجزائرية (منطقة نفطة التونسية والزاب الجزائري) إضافة إلى أنّ الخضر حسين سليل عائلة جزائرية من منطقة بسكرة اشتهرت في ميادين العلم والدين والأدب. **فما هي ظروف تلك الرّحلة، ودوافعها، والنتائج التي انجرت عنها؟**

وقد مكّنت هذه "**الرحلة الجزائرية**" الإمام الخضر حسين من التعرف على الواقع العلمي في الجزائر، وطبيعة المجتمع وعاداته، وقد لقي خلالها تقديرا واحتراما كبيرين من أهل الجزائر حيثما حلّ وارتحل، وألقى في خضم ذلك محاضرات في الوعظ الديني في المدن التي زارها، وقام بنشرها لاحقا في العددين الأول والثاني من مجلّة السعادة العظمى (حسين، 2010، صفحة 5432).

وقد قام الإمام برحلتين إلى الجزائر، أمّا الأولى فلم ينشر عنها وصفا كما فعل بالنسبة لبقية الرحلات، غير أننا نجد اثباتا لتلك الرحلة الأولى للجزائر (سبتمبر 1903 الموافق لسنة 1321هـ) من خلال ما ذكره الإمام نفسه في مقدمة الحديث عن رحلته الثانية إلى البلاد الجزائرية بقوله: "...**كنت أسعفت فيما سلف من الزمان بإجراء سياحة في أطراف المملكة الجزائرية وبقيت النّفس مستشرفة إلى إعادتها تارة أخرى إلى مدينة الجزائر نفسها**"، مما يوحي هذا القول بأنّ الرّجل اقتصر في رحلته الأولى للجزائر على أطرافها أي مدنها الجانبية فقط دون زيارة مدينة الجزائر، التي بقيت زيارتها بالنسبة له أمنية نفسية ودّ تحقيقها (مواعدة، 1974، صفحة 42).

وقام الإمام الخضر حسين بهذه الرحلة الثّانية للجزائر يوم السبت 5 رمضان سنة 1322هـ/12نوفمبر سنة 1904 وامتدت إلى يوم الثلاثاء 15 رمضان/23 نوفمبر من ذات السنة (أي إحدى عشر يوما)، كان خلالها الإمام زائرا منفردا متخذا سبيله في البرّ، لأنه "**أجمل منظرا وأقلّ خطرا**"، ونزل خلال تلك الفترة بالعديد من مدن الشرق الجزائري مثل تبسة وعين البيضاء وقسنطينة وباتنة، وخاصة مدينة الجزائر العاصمة، التي كانت هدفا مهما لزيارته الثانية للجزائر من أجل الوقوف على حالتها العلمية، يقول في ذلك الامام: "**وبقيت النفس مستشرفة إلى إعادتها تارة أخرى إلى مدينة الجزائر نفسها لنكون على بينة من مقدار ما تبلغ اليه حالتها العلمية، وجلية من أمر أخلاق أهلها الغالبة وعاداتها العامة، فإنّ لسان العيان أفصح من لسان البيان**" (حسين، 1904/1322).

وقد قدم لنا الإمام صورة عن لقاءاته بالعلماء الذين صادفهم بالمدن التي زارها في زورته الثانية، بالشرق الجزائري، أو أولئك الذين التقى بهم في الجزائر العاصمة في النوادي العلمية والمساجد والدور الخاصة، أمثال الشيخ محمد بوقندورة الشيخ الحنفي بالجزائر، والشيخ عبد الحليم بن سماية[2]، ومحمد بن شنب وعبد القادر المجاوي،[3] والشيخ حمدان الونيسي،[4] ومن جهة أخرى وصفت رحلته أيضا حلقات العلم والتدريس أو المناظر

الطبيعية لمدينة الجزائر، وقبل وصوله لمدينة الجزائر، عرّج الإمام على مدن الشرق الجزائري زائرا ومستئنسا بأهل العلم والفكر والدين فيها بداية؛ بتبسة وعين البيضاء وقسنطينة وباتنة وغيرها .

وقد وصل مدينة الجزائر عبر القطار على الساعة الثامن مساء، وأثناء نزوله بها زار أهم أنديتها ومؤسساتها العلمية والدينية مثل: المدرسة الثعالبية وضريح الشيخ عبد الرحمن الثعالبي والجامع الكبير، والتقى بشيوخ العلم وأعيان المدينة من تجار وعلماء واسترسل معهم في أحاديث تخص الدين والفكر والثقافة، ولعلّ من أبرز هؤلاء الشيخ "**محمد بوقندورة**" المفتي الحنفي، والشيخ العلاّمة عبد الحليم بن سماية، الذي أعجب به الإمام لفصاحته وتبحره في علوم الشرع، وسي أحمد بن مراد صاحب محلّ بيع وطباعة الكتب والسيد محمد بن شنب المدرس بالثعالبية، والعلاّمة عبد القادر المجاوي الذي أعجب الإمام بطريقة تدريسه للعلوم الدّينية بمسجد سيدي محمد الشريف، القائمة على عدم الخلط بين أكثر من مسألة في موضوع ما، ووسطيته، ومدى الوقار الذي يتميّز به أمام طلبته ومحبيه و"**غالب عدول وقضاة المملكة الجزائرية تخرجوا على يديه**" (حسين، 2004، الصفحات 34-44).

2.2. رحلة أحمد حسن المهيري

كانت بداية رحلته إلى الجزائر بتاريخ 14 سبتمبر 1922 وانتهت بتاريخ 26 سبتمبر 1922، انطلاقا من مدينة صفاقس ومرورا بعدّة مدن تونسية منها: سوسة، القصرين، فريانة، ودخل التّرا ب الجزائري في يوم السبت 16سبتمبر، بعد المرور بإجراءات التفتيش بمركز بوشبكة الذي لا يبعد عن تبسة سوى بـ 35 كم، وبدت تبسة بالنسبة للمهيري مدينة جميلة ونظيفة يحيط بها سور محكم البناء، بها جامع واحد لصلاة الجمعة والصلوات الخمس (حسين، 2004، صفحة 50).

ويبدو أنّ زيارة المهيري[5] للجزائر كانت بغرض الاطلاع على أحوالها العامة والخاصة ونقلها لقراء جريدته "**العصر**"، وقد أعدّ لهذه الرّحلة إعدادا محكما عن طريق الاستعانة بعلاقاته الخاصة بأعيان مدن الشرق الجزائري التي زارها من قبل، مما جعل زيارته تلك تسير في ظروف حسنة، ففي كل مدينة كان ينزل بها المهيري يجد ثلّة من الأعيان بانتظاره يرحبون بمقدمه ويشيعون رحيله عن تلك الديار، إذ نراه في بلدة (تبسة) يستقبل ويودع من طرف أعيان البلدة، وكذا في باقي المدن التي زارها (الجابري، 1990، صفحة 284).

ويقدم لنا المهيري خلاصة رحلته لمدن الشرق الجزائري وجنوبها الشرقي بطريقة أدبية مشوقة، خصوصا إذا علمنا أنه يمتلك حسّ أدبي راق وهو في حدّ ذاته كاتب صحفي بارع، بحيث استطاع أن يوجز ملاحظاته بأسلوب محكم ودقيق في كل مدينة أو بلدة ينزل بها حتى وإن كانت إقامته لا تتعدى بعض السويعات ببعض تلك المدن، مثلما كان الحال بمدينة باتنة وبسكرة. فهو مثلا يصف كل ما وقعت عليه عيناه من مشاهدات، بداية بشكل البنايات العمرانية وطرق بنائها وتصميمها وتناسقها، مثل مدينة تبسة التي أعجب بعمرانها ونظافة شوارعها وأنهجها، وكذا مدينة قسنطينة ووصف وأدها السحيق وجسورها الشاهقة وساحاتها المشهورة. ثم ينتقل إلى وصف الحالة التعليمية في البلاد الجزائرية، ويرى أنّ التعليم في المدن التي شملتها رحلته رغم وجوده ومساهمة

الجزائريين في انعاشه يبقى متخلفا بالقياس إلى التعليم العربي في تونس، وذلك لخلّوه من الأساليب العصرية وعدم اعتناء الجمعيات الخيرية الإسلامية التي نزل عليها زائرا في تبسة وقسنطينة بذلك التعليم، وتقاعسها عنه إذ يقول في ذلك: "**وقد اجتمعنا بكثير من أعيان البلاد فوجدناهم متعطشين للمدارس القرآنية، ومنتقدين للجمعية الخيرية تهاونها في تعليم أبناء الفقراء، والحال أنها في إمكانها تعليمهم**" (حسين، 2004، صفحة 56).

أمّا عن الأعيان الذين التقى بهم في رحلته تلك فهم كثيرون، نذكر أبرزهم حسب التّسلسل الزماني والمكاني لرحلته؛ ففي مدينة تبسة التقى بأعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية: الصادق العقيد الصفاقسي، الصادق بن عياد، والسيد عمر نابي، وفي عين البيضاء التقى بالزعيم الوطني الأمير خالد صاحب جريدة "**الإقدام**"، وقد وصفه المهيري: "**بأنه رجل شهم ذو همة سامية وأخلاق راقية...ذو غيرة وطنية، حر الضّمير مخلص لوطنه**" مما يدل على إعجابه بالأمير خالد وبخصاله الوطنية، وكذا الالتقاء بالعلامة "**محمد قشوط الأزهري**" الذي كان يكتب بجريدة المهيري حول زكاة الأوراق المالية (حسين، 2004، الصفحات 53-54).

وفي مدينة قسنطينة التي وصلها يوم 23 سبتمبر 1922، فإنّه التقى بالسّيد "**مامي إسماعيل**" الذي كان بمثابة رفيقه ودليله في اكتشاف تلك المدينة، وهو صاحب جريدة "**النّجاح**" المشهورة بقسنطينة. وفي مدينة بسكرة وسيدي عقبة اللّتان زارهما صاحب جريدة العصر منذ 25 سبتمبر، فإنه قد التقى بالسّيد الأمين العمودي الوطني الصميم، ليختم زيارته بجولة إلى مدينة سيدي عقبة التاريخية، ويزور ضريح هذا الفاتح للبركة والتيمن، ويلتقي هناك بأعيان المدينة المشهورين أمثال الكاتب البارع السيد محمد بن العابد الجلالي وإمام مسجد عقبة بن نافع "**الشيخ محمد بن منصور**"، وخصص في نهاية هذه الرحلة ترجمة مفصلة عن حياة عقبة بن نافع الفهري نشرها تباعا في جريدته العصر الجديد سنة 1923 (حسين، 2004، صفحة 63).

ومن خلال هذه الرحلات إلى الشرق الجزائري، كان المهيري من جهة أخرى يرمي إلى التعريف بجريدته، وتكوين شبكة من المكاتبين والمراسلين لها، إذ كان من المعلوم أنّ الصحف التّونسية كانت كثيرة الرّواج في شرق الجزائر وجنوبها (حسين، 2004، صفحة 60).

3.2. رحلة سعيد أبو بكر إلى الجزائر 1927-1928

من الشخصيات التي زارت الجزائر سنة 1927 الصحفي التونسي المعروف بسعيد أبو بكر[6]، تركزت زيارته إلى الشّرق الجزائري وخصوصا إلى عمالة قسنطينة وجنوبها وتمت على مرحلتين الأولى استغرقت 20 يوما وشملت مدن وقرى قسنطينة، بسكرة، واد زناتي، قالمة، عنابة، سوق أهراس. أما رحلته الثانية فقد امتدت على قرابة الشهرين خصصها لزيارة عمالة قسنطينة وأحوازها، وقد كان الدافع إلى تلك الزيارة لقسنطينة هو التّقصيّ عمّا سمعه من أخبار تفيد أنّ جميع المدن الجزائرية قد تمكن الاستعمار من دمجها وفرنستها، باستثناء مدينة قسنطينة التي استعصت على المشروع الاستعماري المذكور، فحفّزت هذه الظّاهرة الشّاعر أبي بكر سعيد على زيارة مدينة قسنطينة المنيعة عن الاستعمار والمحتفظة بخصوصيتها العربيّة والإسلامية، وقد أوضح سعيد أبو بكر هذا الدافع في مقدمة رحلته: "**طالما كنت أسمع النّاس يتكلمون عن بلدان الجزائر ويذكرون أنها آيلة**

إلى التّفرنس لا محالة والبعض يعمم، والبعض الآخر يخصص ويحتج ببقاء مدينة قسنطينة على حالها" (حسين، 2004، صفحة 67).

وما ميّز رحلته الأولى لعمالة قسنطينة أنها لم تكن نتيجة إعداد مسبق، وإنّما كانت بمحض الصّدفة حينما كان في زيارة لقرية غار الدماء، ورغم ذلك استطاع أبي بكر من ربط علاقات فكرية وثقافية مع أعيان المدن التي زارها بإقليم قسنطينة؛ كالعلماء والأدباء خاصة ببسكرة، حيث التقى بكل من محمد الطّيب العقبي، والأمين العمودي، والشاعر محمد العيد خليفة، الذين رحبوا بمجيئه باعتباره شاعرا وأديبا تونسيا معروفا لديهم، وأعجب الشاعر أبي بكر بالجهود الإصلاحية التي يقوم بها الطّيب العقبي ومن معه من المصلحين في تصحيح عقائد النّاس ومكافحة مظاهر الشرك والسلوكات الدّينية المنحرفة مثل عبادة الأضرحة وتقديس شيوخ الطرق الصوفية يقول في ذلك: "**وفي بسكرة جماعة إصلاحية قوية على رأسها الأستاذ الطيب العقبي، وأهم ما ترمي إليه هاته الجمعية القضاء على الخرافات القديمة، والتنقيص مما يعمله الناس عن الطرق والزوايا للقضاء عليها بعد ذلك بتاتا**" (أبوبكر، 1928، صفحة 3).

ومما لفت انتباه الشاعر أبي بكر في رحلته إلى بسكرة كثرة الأدباء باللسان العربي، وانتشار استعمال اللّغة العربية انتشارا حسنا، وأيضا انتشار الجرائد التونسية، وكثرة المشتركين فيها، حتى خيل إليه أنه في إحدى شوارع تونس "**بباب السويقة**" أو "**الحلفاوين**" مما يدل على أنّ الصحافة بين البلدين كانت إحدى جسور ذلك التواصل، وأنّ كثيرا من جرائد الإصلاح ببسكرة وبغيرها من مدن الجزائر كانت تطبع أيضا بالمطابع التونسية ،وخصوصا جرائد بني ميزاب وبسكرة (العقبي، 1927، صفحة 276)، كما يذكر مالك بن نبي بأن تبسة كانت تعج أيضا بالصحف التونسية خاصة جريدتي الزهرة والعصر الجديد (المدني، 1983، صفحة 222).

وامتدت رحلة أبي بكر سعيد في مرحلتها الثانية إلى المدن الآتية: تبسة وعين البيضاء وخنشلة وباتنة وسيدي عقبة، وأهم ما ميزها هو ثرائها بالمعلومات والملاحظات التي كان يبديها صاحبها في المدن التي زارها، خصوصا عن الأوضاع المختلفة السياسية والاقتصادية والثقافية، ولوم صاحب الرّحلة الاستعمار وأعوانه على سلبهم الأراضي الزراعية من أصحابها بطرق غير قانونية ومنحها للمعمرين تشجيعا لهم على الاستيطان والاستقرار بمستعمرة الجزائر، ومن جهة أخرى عمل الاستعمار على انتهاج سياسة عنصرية تجاه السكان عملا على تفرقتهم عن طريق بث الخلافات والحزازات (حسين، 2004، صفحة 72).

كما انتقد صاحب الرحلة ظاهرة انتشار المخبرين السريين التابعين للشرطة الفرنسية خصوصا في المقاهي والأماكن العامة ووصفهم "**بالكلاب**" التي تسبق ظلها خصوصا في مدينة تبسة التي تكثر بها الثكنات العسكرية أيضا، وعتابه أيضا على ضياع الشباب المسلم في الأزقة والشوارع بدون عمل أو تعليم، وأكثر ما لفت انتباهه؛ تلك الحرفة المقيتة التي يمتهنها أطفال وصبية صغار المتمثلة في "**الماعين**" و"**الشياتة**"، فهي في نظره مهنة وضيعة لا تليق بهؤلاء ولا بأعمارهم (حسين، 2004، صفحة 71).

في الحقيقة مكّنت هذه الرّحلة صاحبها من تحقيق غرضها المحدّد، وذلك بالاطلاع عن قرب على حقيقة الأوضاع التي يعيشها الجزائري في ظل الاحتلال الاستعماري ومدى الإقصاء والحيف الذي يعانيه في حياته الشخصية والاجتماعية والثقافية بل في كل الميادين.

ويبدو أنّ الشاعر سعيد ابي بكر قد سبقته شهرته إلى الجزائر قبل أن يصل اليها، ذلك أنه بمجرد نزوله إلى إحدى مقاهي تبسة –في رحلته الثانية للجزائر–ليتسلى برؤية المدينة والاستمتاع ببعض وقته، إذ يفاجئه أحد الحاضرين بالمقهى مخاطبا صاحبها بقوله: "**ليأتي بشيء إلى أحد شعراء تونس سعيد ابي بكر**" وكانت دهشة صاحب الرحلة كبيرة بعد سماعه هذه الكلمات من رجل لا يعرفه وفي بلدة لا يعرف فيها أحد، غير أنّ دهشته زالت لما أخبره ذلك الرجل بأنه يملك ديوان (السعيديات)، وقد تعرف عليه من خلال صورته التي بمقدمة الديوان ويظهر انّ ذلك الرجل هو أحد عدول المحكمة الشرعية (الجابري، 1990، صفحة 289). مما يفسر ذلك إطلاع واتصال الجزائريين الثقافي والفكري بالتونسيين شعراء كانوا أو مصلحين أو حتى سياسيين، وحتى صاحب الرحلة أشار إلى ذلك التواصل بين الشعبين من خلال اعجابه بالأخوة الموجودة بين الجزائريين والتونسيين بمجرد نزوله بأول مدينة وهي تبسة إذ يقول: "**ومن هنا تبددت تلك الصورة التي انطبعت على مخيلتي... وأخذت أدرك أننا شعب واحد خُلُقنا واحدة، وعوائدنا واحدة إلاّ أشياء ثانوية هي أصغر من أن تعدّ وتحسب**" (حسين، 2004، صفحة 69).

وختم الشاعر أبي بكر زيارته إلى الجزائر بزيارة مدينة عنابة التي التقى فيها بالمناضل التونسي عبد الرحمن اليعلاوي المنفي اليها منذ 1925، ولفت انتباه صاحب الرّحلة هيمنة اللّسان الإفرنجي على أهل هذه المدينة، وانحصار تام للغة العربية فيها، رغم وجود المسلمين بها، حتى يخيّل إليك أنّك تدخل مدينة إفرنجية محضة يقول في ذلك: "**في مدينة بون "عنابة" يكاد الإنسان يحسّ بأنّ الكتابة والقراءة باللّغة العربية قد أصبحتا مفقودتين، ولقد يسهل على البعض من سكانها أن يعبر باللّغة الفرنساوية عن مقصوده بصورة يستحيل عليه أداؤها باللغة العربية**"، وفي عنابة تعرّف الشّاعر التّونسي على الشقيقين الوطنيين سليمان وعبد الرحمان الجندي اللذين آزرا عبد الرحمن اليعلاوي في منفاه بعنابة وقت كان الناس يفرون منه لأنه مبعد سياسي (حسين، 2004، الصفحات 84-85).

وقد قام صاحب الرحلة بنشر وقائع رحلتيه الأولى والثانية إلى الجزائر على مدار أكثر من سنة على صفحات جريدته "**لسان الشعب**" منذ ديسمبر 1927 ووالت ذلك بانتظام حتى شهر جانفي1929.

4.2. رحلة الطيب بن عيسى

لعلّ هذه الرحلة السابقة تشترك في الكثير من أهدافها وأغراضها ومراميها مع رحلة أخرى تونسية قام بها صحفي تونسي شهير وهو الطيب بن عيسى القرواوي[7]، الذي كان من أكثر الصحفيين التونسيين حبا للرحلة مشرقا ومغربا، بغرض السّياحة ومن جهة أخرى تعريفا بجريدته الوزير، وبحثا عن مشتركين ومراسلين لها من القطر الجزائري.

وقد سبق للطيب بن عيسى أن زار الجزائر مرارا قبل جولته الأخيرة لها منذ سنة 1920، ثم زارها مرتين سنة 1923، بينما اقتصرت زيارته لها سنة 1926 على عمالة قسنطينة دون غيرها من المدن الأخرى بسبب ظروفه الصحية (حسين، 2004، صفحة 107).

وسمحت له الظروف بإعادة الزيارة مرّة أخرى للجزائر سنة 1927 من أجل نقل أخبارها وآثارها إلى القرّاء التونسيين خصوصا إذا علمنا انه ينحدر من أصول جزائرية من مدينة قرواو بالبليدة، مدفن جده ابن عيسى، وقد دامت رحلته هده المرة عشرة أيام، غطّت المدن الآتية: قالمة، الجزائر، البليدة، وقرواو. مستهدفا من هذه الزيارة الاطّلاع على أهم التّحولات والتّغيرات التي طرأت على الجزائر في ناحيتيها الأدبية والاقتصادية منذ زيارته الأولى لها سنة 1920، مرجعا التّطور الضئيل الحاصل لصالح الجزائريين إلى سياسة الاستعمار القائمة على جعل ثروات وخيرات البلاد في يدّ أقليّة من الفرنسيين واليهود المتجنسين والغرباء من المعمرين، بينما يقبع غالبية الجزائريين في فقر مدقع وعوز مادي لا نظير له، وهذه الأوضاع المزرية للجزائريين هي التي دفعته–ابن عيسى– لحث هؤلاء على الأخذ بأسباب التّفوق المادي والعلمي، وخصوصا منهم الشباب النّاهض اعتمادا على ما يتحلّى به الجزائري من خصال وصفات حميدة مستمدة من رسوخ العقيدة، والثّقة بالله والمحافظة على التقاليد والعادات الأصيلة المتوافقة مع الحضارة الإسلامية (الجابري، 1990، الصفحات 290–291) وقبل انتهاء مدة رحلته عرّج ابن عيسى على موطن أجداه بلدة "**قرواو**" بناحية البليدة أين ينتسب إليها جدّه الشيخ محمد بن عيسى. (الجابري، 1990، صفحة 291).

لقد قدم لنا الرحالة التونسي الطيب بن عيسى صورة واضحة عن المدن والاقاليم التي شملتها زيارته مثل: قالمة، الجزائر، البليدة، وعن التّطورات الحاصلة بها في جميع الأصعدة خصوصا الاجتماعية والثقافية. ولهذا فقد اتسمت رحلة ابن عيسى للجزائر بطابع المنهج التحليلي والمقارنة بين الفترات الزمنية التي زار فيها الجزائر لرصد مدى التطورات التي طرأت على حياة الناس هناك، من دون أن يغفل نقده اللاّذع لسلطة الاحتلال المتسببة في ترديّ أحوال الجزائريين على مختلف الأصعدة (الجابري، 2007، الصفحات 28–29).

5.2. رحلة حمزة بوكوشة 1932

جاءت تحت اسم "**جولة من التّلال إلى الرّمال**" وكانت بطلب من جريدة الوزير، وقد قام بها مراسلها بالجزائر السيد حمزة بوكوشة[8]، لينقل من خلالها ملاحظاته ومشاهداته لقرّاء الجريدة من التونسيين، وانطلق بوكوشة في جولته هذه من مدينة دلس البحرية، التي يعمل بها كمدرس باتجاه وادي سوف، واصفا المدن التي مرّ بها، وهي: دلس، الجزائر، بوسعادة، بسكرة، القمار، وناقلا لجريدة الوزير ملامح النشاط الفكري والعلمي والنهضة الإصلاحية الي عمّت هذه البلدات (الجابري، 2007، صفحة 141)

وقد بدأ بوصف اقرب المدن لدلس وهي العاصمة التي أضحت موئلا للحركة الإصلاحية في الجزائر ككل، اذ تأسست بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونادي الترقي التابع للجمعية، الذي يعتبر أهم نادي إصلاحي بشمال إفريقيا، وقد جعل منه المصلح الكبير الطيب العقبي مركزا للوعظ والإرشاد، وأسهمت محاضراته

الدّينية التي يلقيها فيه كل يوم أحد في تقويم سلوك النّاس وتصحيح عقائدهم بالعاصمة، وأصبح العقبي رائدا للإصلاح ومروضا دينيا للعاصمة وضواحيها، بالإضافة إلى ذلك توجد بالعاصمة مدرستان للتعليم العربي هما مدرسة الشبيبة ، ومدرسة السلام (حسين، 2004، الصفحات 142-143)، وفي طريقه إلى وادي سوف يصف لنا بوكوشة مدنا وبلدات هامة؛ منها مدينة بوسعادة التي أقام بها يوما وليلة زار فيها ضريح الفنان الفرنسي المسلم "**إتيان ديني**"، وذكر الجمعية الخيرية المسماة "**بجمعية الهداية**" ودورها الإصلاحي بالمنطقة ولمّح من جهة أخرى إلى الوعي السياسي والقومي المنتشر بتلك البلدة من خلال حديث الناس عن تداعيات المؤتمر الإسلامي على القضية الوطنية (حسين، 2004، صفحة 119).

كما شملت زيارته أيضا مدينة بسكرة "**عاصمة الجريد**"، حيث تعرض إلى ذكر حالتها العلمية والاصلاحية، من خلال اهتمام النخب الإصلاحية هناك بتأسيس المدارس والجمعيات الخيرية والإصلاحية مثل "**مدرسة الاخاء**"، و"**جمعية العرفان**" بقيادة واسهام الأستاذ الاديب السعيد الزاهري والأستاذ محمد خير الدين، وأيضا جمعية الاخاء التي اشترك في تأسيسها الاباضيون والمالكيون في إشارة إلى الاندماج والاتحاد الاخوي بين المذهبين المذكورين وتجاوزا لكل الخلافات الموجودة (حسين، 2004، صفحة 120).

وانتهت رحلة بوكوشة إلى منطقة وادي سوف مسقط رأسه حيث أتى على وصفها من الناحية الاقتصادية والسكانية والعلمية وحتى الإصلاحية، وأشار إلى بعض اقطاب الإصلاح فيها مثل الأستاذ عمار الأزعر، والعنت الذي لقيه هو وأصحابه الإصلاحيين بسبب نقدهم للطرقية وقضية السّفور، التي قاومها هؤلاء بدون هوادة، وأيضا تعرض بوكوشة إلى الحركة الصحفية ورواجها بسوف أكثر من غيرها من البلدات وخصوصا "**بقمار**" (الجابري، 2007، الصفحات 146-148).

3. رحلات النّخب الجزائرية إلى تونس

1.3. رحلات الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى تونس

ركزنا في رحلات النخب الجزائرية نحو تونس على زيارة "**ابن باديس**" أكثر من غيرها، لاعتبارات كثيرة منها؛ أنّ الأخير يعتبر رائدا للنّهضة الفكرية والإصلاحية في الجزائر، وهو عيّنة لكثير من العلماء الجزائريين الذين درسوا بالزيتونة وتركوا أثرا طيبا في تونس، وهناك إجماع تونسي على حبّ هذه الشّخصية والإعجاب بقوة خطاباته الإصلاحية. وأيضا لدوره الرئيسي في رعاية وتشجيع البعثات التّعليمية نحو تونس، ففي سنة 1913 وصلت إلى تونس أول دفعة من تلك البعثات وبعد الحرب استمر أيضا دور وتأثير ابن باديس في توجيه تلك البعثات العلمية مدّة عقود من الزّمن، حيث تخرجت منذ 1924أوّل دفعة من هذه البعثات، تمثلت في نخبة من خيرة علماء الجزائر، حملوا عبء الإصلاح والنّهضة منهم: محمد السعيد الزاهري، صالح بن يحيى، مبارك الميلي، محمد خير الدين أبراهيم أبو اليقظان...الخ.

لقد زار ابن باديس تونس الخضراء مرارا وتكرارا، زارها اول مرة عام 1908 كمتعلم بجامعها الأعظم (الزّيتونة) والذي تخرج منه بشهادة التّطويع عام 1912، وقبل عودته للجزائر انتصب للتعليم فيه مدة عام، وهي

عادة سارت عليها إدارة الجامع منذ تأسيسه وكان ابن باديس على رأس المتخرجين عام 1912، وكان من أبرز تلامذته بالزيتونة "**الطاهر الحدّاد**" الذي شهد له ابن باديس في كراسه الدراسي بالنّبوغ والأدب. ولا يهمنا في هذا المقام الحديث عن الزّيارات التحصيلية لابن باديس أو لغيره من العلماء والبعثات العلمية الجزائرية التي اتجهت للزيتونة منذ مطلع القرن التاسع عشر ومنها البعثات الميزابية والسّوفية، بقدر ما يهمنا إبراز أثر زيارات ابن باديس المتتالية بين 1921-1937 في تعزيز الروابط والوشائج الأخوية والفكرية والثقافية بين تونس والجزائر.

- ففي عام 1921 زار ابن باديس تونس بعد انقطاع عنها دام عشر سنوات، واستغلّ هذه الفرصة من أجل الوقوف على الحالة العلمية للطلبة الجزائريين، وفيها دعاهم إلى الأخذ بأسباب العلم والتقدم، وبذل الجهد في التحصيل العلمي.

- وفي عام 1936 زار تونس مرة ثالثة، وكانت تلك الزّيارة قصيرة جدا لم تتعدى الأربعة أيام (25إلى 29 سبتمبر 1936)، وذلك لكثرة ارتباطاته وانشغالاته في الجزائر، وخصوصا السياسية منها. وقد استقبل بحفاوة كبيرة وأقامت على شرفه الجمعية الخلدونية احتفالا ضخما، ألقى فيه ابن باديس خطابا علميا وسياسيا مؤثرا، واجتمع حينذاك بالشيخ العالم محمد الصادق بسيّس[9]، ودار النقاش بينهما على تقوية روابط الوحدة بين الجزائر وتونس (البصائر، 1937، صفحة 339).

- وفي عام1937 زار ابن باديس تونس للمرة الأخيرة من أجل المشاركة في إحياء ذكرى أستاذه البشير صفر، الذي تكلم عنه ابن باديس بتأثر بالغ مشيدا بمناقب الرجل خاصة خدماته للجالية الجزائرية بتونس، ومن جهة أخرى اشترك ابن باديس في مظاهرات فكرية نظمتها الجمعيات الطلابية والعمالية الجزائرية الناشطة بتونس ومنها: جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين والجمعية الوداية الجزائرية، فتحدث في كل مرة عن أمله في وحدة المغرب العربي انطلاقا من التعاون الفكري والعلمي، والعمل على إفشال الإستراتيجية الفرنسية الرامية إلى قطع الصّلة بين هذه الدول ذات التاريخ الواحد والمصير المشترك. كما ولج في السياسة لتنبيه الرأي العام التونسي إلى معاناة الجزائريين من فقر وظلم في ظل الاحتلال الفرنسي (طبيش، 2018، صفحة 652).

أما الرحلة الخامسة فكانت في جمادى الأولى 1356هـ/ جويلية 1937م قصد منها ابن باديس المشاركة في الاحتفالات التي أقيمت للأستاذ عبد العزيز الثعالبي (1876-1944م) بمناسبة عودته إلى تونس من منفاه الذي دام أربعة عشر سنة. فهنّأه ابن باديس باسمه الخاص ونيابة عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واستغلّ الفرصة لإصلاح ذات البين ورأب صدع الخلاف القائم بين أركان الحزب الدستوري التونسي جرّاء النّزاع حول الزعامة بين قدماء الحزب والزعماء الجدد (الشهاب، 1937، صفحة 339)

إنّ الحفاوة الكبيرة التي استقبل بها الشيخ عبد الحميد بن باديس خلال رحلاته المختلفة من قبل العلماء والسياسيين التونسيين ومن طرف المؤسسات العلمية والثقافية والصحافة التونسية تؤكد على تقديرهم لهذا العالم الفذ واعترافهم بجهوده الإصلاحية وأفكاره التجديدية. وهذه المكانة المرموقة ستعمق فيما بعد العلاقات العلمية بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والنخب الإصلاحية التونسية، وتساهم في قبول إدارة جامع الزيتونة اعتماد

معهد ابن باديس بقسنطينة كفرع له في الجزائر.

2.3. صدى زيارة ابن باديس في الصحافة التونسية

إنّ زيارات ابن باديس إلى تونس بين 1921 و1937 قد تركت أثر حسنا واعجابا تونسيا كبيرا بشخصية هذا المصلح، إذ وصفته صحيفة "**البتي ماتان**" التونسية بما يلي: "**والشيخ ابن باديس يمثل حقاً الزّعيم الخطيب الذي ملك مقاليد الكلام بصوته الناري ... وهو الرّجل الذي وصل في القطر الجزائري إلى درجة التّقديس، وتسير وراءه تسعة أعشار الأمّة، أمّا سمعته فقد اخترقت البحار، وأصبح الشرق يعتبره من أكبر رجاله، وإنّه لنعم الخلف للبشير صفر**" (طبيش، 2018، صفحة 656).

أما صحيفة الزهرة فقالت: "**وأحيلت الكلمة إلى حضرة الأستاذ الجليل والمصلح الكبير فضيلة الشيخ السيد عبد الحميد بن باديس ممثل الجزائر، فتقدم وارتجل خطابا فيّاضا بالشّعور الإسلامي الصميم والعاطفة الإفريقية السامية**" (باديس، 1937، صفحة 225).

من جهتها لم تبخل "**المجلة الزيتونية**" بالمدح والثناء والتبجيل لشخص ابن باديس فقد عنونت مقالها بما يلي "**اقتبال المجلة الزيتونية للشيخ عبد الحميد**"، ذكرت المجلة أنّ علماء الزيتونة هم الذين تشرفوا باستقبال ابن باديس لمكانته الدينية والاصلاحية في العالم العربي، واقاموا على شرفه الاحتفالات والمآدب، ومكّنوه من فرصة الكلام ليعبر عن حنينه إلى الجامع الأعظم واشتياقه إلى البلاد التونسية (القاضي، 1937، صفحة 263)، التي كان كثيرا ما يقول عنها: "**حقا إنّ لتونس هوى روحيا بقلبي ، لا يضارعه إلاّ هوى تلمسان، أعرف ذلك من انشراح في الصدور ونشاط في الفكر، وغبطة في القلب لا أجد مثلها في ربوعها، ومن نعم الله عليّ أن يسّر لي التردد بين الخضراء والبهجة مرتين، وقد كانت آخرهما في تونس ذات مظهر ممتاز، ومغزى سام**" (باديس، 1937، صفحة 225).

لقد خاض ابن باديس من خلال زياراته إلى تونس في مواضيع وقضايا شتى منها، التّنويه بجامع الزيتونة الذي اعتبره منبع السّعادة والهداية في الشمال الافريقي ومصدر كل حركة إصلاحية أو علمية، وأيضا التنويه بعلماء الزيتونة ودورهم الريادي في تكوين الناشئة تكوينا إسلاميا عربيا صحيحا، كما دعا ابن باديس عبر الخطب التي القاها على المنابر التونسية إلى تقوية الروابط العلمية بين الشعبين التونسي والجزائري، وضرورة تشجيع الزّيارات العلمية والنّخبوية بين أقطار المغرب العربي ككل، وتمكين عرى الحركة الإصلاحية بين البُلدان المغاربية، وخصوصا تونس والجزائر (طبيش، 2018، صفحة 658).

3.3. الرّحلات الميزابية إلى تونس 1914-1940

كانت منطقة وادي ميزاب أسبق النواحي الجزائرية كلها في الارتباط بتونس بحكم القرب الجغرافي والتعامل التجاري وكذا التواصل الفكري والتعليمي، ولعلّ من أهم هذه الرّحلات الجزائرية نجد رحلة الشيخ أبي اليقظان عام 1913 إلى تونس من أجل التحصيل العلمي بالزيتونة، التي درس فيها على يد كبار علمائها منهم: الشيخ الطاهر بن عاشور، ومحمد النّخلي وغيرهم، وإليه يعود الفضل في تنظيم وترأس أول بعثة علمية ميزابية إلى

تونس عام 1914، واختير أبي اليقظان موجها ومؤطرا لتلك البعثة بحكم تجربته العلمية ونزاهته وروح المسؤولية التي كان يتحلى بها وكذا لثقة الجزائريين بشخصه وأيضا لتلك العلاقات الواسعة التي كوّنها في تونس أيام دراسته مع النّخبة التونسية العلمية والسياسية (دبوز، 2007، الصفحات 20-21).

ولم يقتصر نشاط ابي اليقظان على تنظيم البعثات العلمية فحسب، بل امتد نشاطه إلى الجانب الفكري بتأسيسه لثماني صحف متتالية تعرضت كلها للحلّ والمصادرة من الإدارة الاستعمارية في تونس والجزائر وهي (وادي ميزاب 1926- 1929، ميزاب 1930، المغرب 1930-1931، النور 1931-1933، البستان1933، النبراس 1933، الأمة 1933-1938، الفرقان 1938) وقد كانت تطبع هذه الجرائد بمطبعته التي أسسها بالجزائر العاصمة عام 1931، ثم بعد غلقها من طرف الاستعمار الفرنسي، انتقلت طباعة جرائده إلى تونس، وهو إلى جانب حراكه الثقافي والفكري بين الجزائر وتونس، أسهم من جهة أخرى في الحياة السيّاسية التونسية، حيث كانت تربطه علاقات وطيدة مع الحزب الدستوري التونسي وبزعيمه عبد العزيز الثعالبي منذ 1920، وكان عضوا مهما في اللجنة الأدبية للحزب، ومحررا بارزا في جريدة الإرادة التونسية (الزرويل، 2022، الصفحات 92-93)

وهناك رحلات ميزابية أخرى إلى تونس، لا تقل أهمية عن رحلات أبي اليقظان كان لها دور فعّال في تمتين الروابط الثقافية والعلمية والفكرية بين الجزائر وتونس، نذكر منها رحلات: الشيخ إبراهيم أطفيش عام 1917، والشيخ محمد الثميني 1919 والشيخ إبراهيم بن عمر بيوض عام 1940، وإن كان ظاهرها التحصيل العلمي للطلبة فإنّ باطنها هو تعزيز النّضال السّياسي مع الأشقاء التّونسيين، بالانخراط في الأحزاب والجمعيات التونسية ذات الطابع السياسي والثقافي، ويصف ابن باديس الرحلات الميزابية إلى تونس وما تميزت به من تنظيم محكم ونشاط دؤوب بقوله: "**وهاهم إخواننا (الميزابيين)... يسعون في طريق العلم، ويرحلون في طلبه وأخلق بهم أن ينالوا منه ما يريدون...حللت بتونس فاستدعتني جماعتهم إلى الحضور عندهم في دارهم ليلا فلما فرغنا من العشاء، خرجت إلى صحن الدار المتعلمة بالمدارس التونسية، على الأسلوب الحديث الذي يجمع بين العلوم الدينية والدنيوية واللغة العربية والفرنسوية مع حفظ القرآن، فاصطفوا بنظام وشنفوا أسماع الحاضرين بالأناشيد الوطنية والمدرسية وتحاوروا بالمناظرة القلمية، فرأينا منهم أهلة توشك أن تكون أقمارا، وغروسا طيبة توشك أن تجني أثمارا**" (بن رحال ، 2018، صفحة 165).

وقد أثر هؤلاء الرّحالة الميزابيون في سيرورة الأحداث السياسية والفكرية التونسية، بما كانوا يبذلونه من عطاء مالي ومادي في الأحزاب والجمعيات التونسية، وكانت صلاتهم قوية ومتينة بزعماء الدستور في تونس ومنهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي (الأرشيف الوطني التونسي، 1922)، حيث تُورد تقارير الشرطة الفرنسية عام 1920عن نشاط هؤلاء الميزابيين بالقول: "**أنهم كانوا ملتفين حول جمعية دينية تعمل على الدّعاية لاستقلال القطرين التونسي والجزائري، وكان من أنشط أعضاء هذه الجمعية وأبرزهم: بعلي صالح بن بعلي وإبراهيم أطفيش والشيخ صالح بن يحيى**" (مناصرية، 1988، صفحة 77).

ويذكر أبو اليقظان من أنّ الشيخ الثعالبي قال: "**لولا الميزابيين الذين يمدونني بالمال ما استطعت أن أمكث بباريس أكثر من أربعة أشهر ... ولكن بفضلهم مكثت عاما وأربعة أشهر**" (شترة، 2009، الصفحات 208-209)".

4. أثر هذه الرحلات في التواصل الفكري والثقافي بين الجزائر وتونس

يمكن القول بعد التعرض لأهم تلك الرحلات أنها تلتقي مع بعضها في كثير من النقاط والأهداف وحتى في القضايا التي عالجتها منها: تنديدها بالاستعمار وعملائه من الجزائريين، وإبراز حجم المعاناة التي يعيشها الفرد الجزائري من فقر وحرمان وتمييز. كما أنّها مكّنت من التعرف على الواقع العلمي للجزائريين وكذا واقعهم الإصلاحي ونقل صورة عن ذلك الواقع إلى القارئ التونسي، الذي كان شديد التلهف إلى معرفة ظروف أشقائه الجزائريين تحت النير الاستعماري. ومن جهة أخرى أبرزت الدور الطلائعي والاصلاحي الذي قامت به جماعة الإصلاحيين بقيادة ابن باديس والعقبي والابراهيمي وغيرهم في تعرية حقيقة الطرق الصوفية ومشائخ الزوايا الدينية، وشجب مظاهر الانحراف الديني الذي تسبب فيه هؤلاء، غير أنّ تلك الرحلات المذكورة تكاد تتفق على دور المؤسسات الدينية في حياة الجزائريين مثل المساجد وعناية الجزائريين الكبيرة بها، من خلال توقير القائمين عليها كالأئمة والقضاة والقيّمين.

تعرضت هذه الرحلات بالوصف الدقيق لحياة الجزائريين اليومية والعامة من خلال وصف المقاهي والأسواق الشعبية، وتفاصيل أخرى تتعلق بأسعار المواد الغذائية (اللحوم، الزيت، البن...الخ) ونوعية العملات النقدية المتداولة، ومشكل البطالة في أوساط الشباب وضياع أوقاتهم في لعب النرد والورق والداما ...الخ

كما أنّ الأهم من كل ذلك، فإنّ هذه الرّحلات النخبوية المتبادلة بين تونس والجزائر قد أوجدت تواصلا فكريا وثقافيا بين العلماء والمفكرين، خصوصا رحلة الشيخ "**محمد الخضر حسين**" التي كانت رحلة علمية، حاول صاحبها الاطلاع على أوضاع الجزائر العلمية والتقرب من علمائها مثل الشيخ عبد الحليم بن سماية ومحمد بوقندورة الشيخ الحنفي بالعاصمة، ومحمد بن أبي شنب، عبد القادر المجاوي، وحضوره مجالس العلم والتناقش مع العلماء في مسائل دينية وفكرية (الجابري، 1990، صفحة 282).

أوجدت الرحلات المشار اليها تضامنا لا مثيل له بين الشعبين والنخبتين في تونس والجزائر، ظهرت ملامحه اثناء الصراع بين الحركة الوطنية والاصلاحية من جهة والإدارة الفرنسية من جهة أخرى حول قضية التجنيس. فقد كتبت صحافة البلدين منددة بالمتجنسين والتجنس، وبيّنت على صفحاتها آراء العلماء والمفتين حول رِدّة المتجنس وكفره وبعده عن حظيرة الإسلام والمسلمين وعن عدم قبول توبته إن بقي متجنسا ورفض توريثه أو دفنه في مقابر المسلمين، وتفاعلت نخبة المصلحين في البلدين مع تلك القضية وأصدر ابن باديس فتواه الشهيرة على جريدة البصائر ببطلان التجنس فكرة ومشروعا خصوصا في تونس اين ترجاه التونسيون بإبداء موقفه الديني من قضية تجنيس التونسيين في ظل سكوت علماء تونس المطبق حيال هذه القضية إلاّ النزر القليل منهم (الجيلاني، 1924، الصفحات 22-23).

5.الموقف الاستعماري من تلك الرحلات

لم يكن الاستعمار الفرنسي في البلدين، في غفلة عن رحلات العلماء والنخب بين الجزائر وتونس بل بالعكس فقد كانت عيونه تتابع تلك الرحلات ونشاط نخبها بعناية بالغة، وكانت التّقارير السّرية ترفع إلى الجهات الرسمية الاستعمارية كل ساعة وحين، فمثلا نجد في أحد التّقارير السّرية للشرطة الفرنسية عن زيارة ابن باديس تفاصيل دقيقة ومدهشة عن تاريخ انطلاق رحلته إلى تونس وتاريخ عودته إلى الجزائر وعن الأشخاص والأفراد الذين التقى بهم في تونس، وكذا اجتماعاته وخطبه وغيرها من المعلومات السرية التي تبني عليها الإدارة الفرنسية مواقفها من النشاط النخبوي للرحالة التونسيين والجزائريين، وفي أحد التقارير الفرنسية السّرية أيضا عن نشاط ابن باديس في تونس سنة 1921 تذكر بأنه دخل التّراب التونسي بنيّة مساعدة الطلبة الجزائريين بالزيتونة وحلّ مشاكلهم، وأنه كان كثير التّردد على الجامع الأعظم والالتقاء بزملائه الطلبة التونسيين وبعض الوطنيين التونسيين ومنهم عبد العزيز الثعالبي، واقتناء الكتب القرآنية لتوسيع مكتبته بالجزائر، وإنه جاء برفقة زوجته أو والدته من أجل العلاج....الخ (الأرشيف الوطني التونسي، 1921).

وبنفس الطريقة تتبعت الإدارة الفرنسية نشاط الامام محمد الخضر حسين حينما زار الجزائر وغيرها من البلدان الإسلامية، فقد وصفته في أحد تقاريرها، أنه عالم مؤثر وله صلات كثيرة مع الشباب الناهض بالقطرين وأنّه الموجه الرّوحي لهم (الأرشيف الوطني التونسي، 1917)، كما اتهمته في تقرير آخر بانحيازه لفكرة الجامعة الإسلامية وتحمسه لها، واعتبرته الممثل البارز لها في تونس (الأرشيف الوطني التونسي، 1920).

وربما اتجهت الإدارة الاستعمارية من وراء مراقبة تلك الرحلات إلى قطع جسور التواصل الإصلاحي بين البلدين، وتفكيك وحدة النّضال ضدها، خصوصا إذا علمنا القواسم المشتركة بين التّونسيين والجزائريين كثيرة أبرزها وحدة الماضي والمستقبل ووحدة الدين واللسان، وارتباط التّحصيل العلمي للجزائريين بجامع الزيتونة الذي سرعان ما فُتحت له فروع في شرق الجزائر تتبع نظام التعليم الزيتوني، وتتمتع بالحماية القانونية والأدبية التي تتمتع بها الزيتونة في تونس (الجابري، 1990، صفحة 284).

وفي سبيل عرقلة التواصل الفكري والثقافي بين تونس والجزائر، عمل الاستعمار على حجب الصحافة المناهضة له في البلدين، وفرض عليها قانون الضّمان الصّحفي سنة 1884، مما عرقل ذلك الإجراء ظهور الصحافة العربية في البلدين إلى ما بعد الحرب الكونية الأولى. وكثيرا ما اشتكى المصلحون الجزائريون من التّضييق الممارس على صحافتهم من طرف الإدارة الفرنسية ومن هؤلاء الشيخ الطيب العقبي الذي اضطرته الظروف إلى طبع جرائده بتونس مدة من الزمن، ثم امتنعت المطابع التونسية من طبع جرائده ومنها الإصلاح بإيعاز من سلطة الحماية (العقبي، 1927، صفحة 276). وأيضا الشيخ ابي اليقظان، والشيخ عبد العزيز الثعالبي حينما عطلت الحماية جريدته سبيل الرشاد سنة 1895.

وكثيرا ما انزعج الشاعر ابي سعيد أبو بكر من مراقبة الفرنسيين له حيثما حل وارتحل، يعدون عليه أنفاسه ويراقبون تحركاته واتصالاته بالناس، حيث وصفهم بالكلاب التي تسبق ظلها (الجابري، 2007، صفحة 116).

خاتمة

إنّ الزيارات النخبوية بين الجزائر وتونس التي قام بها الادباء والمصلحون والعلماء، قد يتساوى تأثيرها مع وسائل الاعلام (صحافة البلدين حينها) أو يفوقها في توجيه الرأي العام، أو يعوضها خصوصا إذا ما كانت الشعوب تعاني من معضلة الاضطهاد الفكري والثقافي كما هو الشأن بالنسبة لأوضاع الجزائريين أثناء الاحتلال الفرنسي.

وقد كانت هذه الرحلات المتبادلة بين تونس والجزائر محفوفة بكثير من عيون المخابرات الفرنسية حينذاك تخوفا من تأثيرها الفكري والسياسي وحتى العلمي، فلهذا كثيرا ما اشتكي الشاعر التونسي سعيد أبو بكر من تتبع المخبرين الفرنسيين له أثناء تنقلاته في الجزائر.

ومن جهة أخرى أبرزت هذه الرحلات المتبادلة تمازج الشعبين التونسي والجزائري وعمق التبادل العلمي والتجاري بينهما، فقد ذكر أصحاب هذه الرحلات أسماء العديد من التجار التونسيين الذين كانوا يمارسون التجارة في مختلف المدن الجزائرية التي زاروها، كما أبرزت أيضا المشاعر العميقة التي ظل يكنها الجزائريون لدور تونس ودور الزيتونة في النهضة الإصلاحية بالجزائر وفي إثراء الحياة العلمية والثقافية.

وتعكس لنا تلك الرحلات ظاهرة تكاد تكون مفقودة عندنا في عصرنا الحالي، وخصوصا لدى الجزائريين وربما في عموم المغرب العربي، ألا وهي كتابة المذكرات سواء التي كانت تتصل بالرحلات، أو بتسجيل الوقائع اليومية عادية أو غير عادية، تبدو لنا خلال فترة حدوثها غير ذات أهمية ولا تستحق أن تستأثر ببعض وقتنا في حين أنّ بعضها يكون على غاية من الأهمية عندما نطلع عليها بعد مرور زمن طويل.

والذي يقرأ عن هذه الرحلات النخبوية، تستوقفه كثرة المعلومات المتعلقة بحياة الناس الاجتماعية والاقتصادية وكذا التعليمية، فهي تعطي وصفا معرفيا دقيقا عن تلك الفترة الممتدة بين عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، وتسجل لنا عيّنات من قضايا الجزائريين والتونسيين تحت النظام الاستعماري، منها القضايا المرتبطة بالجانب الاجتماعي والسياسي والتي لها مساس بانتماء التونسيين والجزائريين؛ مثل قضيتي الاندماج والتجنس في فترة العشرينات ومدى المقاومة التي أبداها مصلحو تونس والجزائر في سبيل حماية الشخصية الإسلامية، وقضية التفرنس الثقافي بعد غزو اللغة الفرنسية والعادات الأوروبية للغة الأم، حيث يسجل الشاعر أبي سعيد بوبكر في عين البيضاء أنّ آنسة جزائرية اسمها "**مدموزال بلقاسم**"، تعمل في مركز البريد متجنسة وترفض النطق باللغة العربية مع الزبائن الذين يجهلون الفرنسية (حسين، 2004، الصفحات 98-99).

إنّ الكتابة عن تاريخ الرحلات النخبوية بين أقطار المغرب العربي خلال الفترة الاستعمارية، هي في الحقيقة عملية التأريخ لمرحلة هامة من العلاقات الفكرية والثقافية بين تلك الأقطار، والرحلات المذكورة تعدّ اليوم في نظر المؤرخين والمثقفين مصدرا لا غنى عنه في التعرف على حقبة استعمارية مظلمة من تاريخ أقطار المغرب العربي، خصوصا إذا كان مرتحلوها من النخبة المثقفة، وقد تكون هناك رحلات أخرى للنخب لم يأت على ذكرها المؤرخون، خصوصا في الفترة المعاصرة، مثل رحلة عبد العزيز الثعالبي إلى المغرب والجزائر، ورحلة

الصحفي التونسي محمد بنيس صاحب جريدة الزمان إلى الجزائر في شهر جانفي 1939، وكذا رحلة "**نور الدين بن محمود**" التي نشرت بمجلة الأسبوع بعنوان "**يومان في واد سوف**" سنة 1952، وغيرها من الرحلات المغمورة التي يمكن للباحثين مستقبلا الكشف عنها كتابة ودراسة .

التعليقات والشروحات

1 **محمد الخضر حسين:** إمام ومصلح وفقيه ومؤرخ، ولد عام 1873 بنفطة التونسية، انتقل إلى العاصمة تونس رفقة عائلته عام 1888 لإتمام تعليمه الابتدائي وحفظ القرآن، ثم التحق بجامع الزيتونة فتخرج منه عام 1898 بشهادة التطويع، أسهم بقسط كبير في الصحافة التونسية حينما أسس مجلة السعادة العظمى عام 1904، وهي أول مجلة اصلاحية انتقادية صدرت بتونس، وبعد مضايقة نظام الحماية له ارتحل من تونس إلى الشرق تاركا وظيفته كمدرس بالزيتونة والصادقية، فزار اقطارا عدة مثل الشام ومصر والحجاز وتركيا، ونظرا لمكانته العلمية الراقية تم تعينه شيخا للأزهر الشريف عام 1952، له العديد من المؤلفات جمعها ابن أخيه علي الرضا التونسي في 15 مجلدا سماها موسوعة الاعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، صدرت عن دار النوادر بالأردن عام 2010. للتوسع حول حياته وتراثه الفكري أنظر محمد مواعدة، محمد الخضر، **حسين حياته وآثاره (1873-1958)**، ط1 الدار التونسية للنشر، تونس 1974.

2 **عبد الحليم بن سماية** (1866-1933) : من رموز الحركة الاصلاحية والوطنية في الجزائر، عالم وفقيه، وشاعر قاوم الاستعمار بشدة، ذاع صيته في العالم الإسلامي ،كان من انصار الفكر العبدوي، وممن استقبلوا المصلح محمد عبده 1903 حينما زار الجزائر، مارس الوظيفة كمدرس بالمدرسة الرسمية ،ثم انتصب للتدريس بالجامع الكبير بالعاصمة، أصيب في آخر أيامه بحالة نفسية عصبية فأعتزل الناس، والتزم الصمت حتى ظنه الناس قد جُنّ، وبقي على تلك الحال إلى أن انتقل إلى جوار ربه عام 1933.للمزيد أنظر: هناء شبايكي، **عبد الحليم بن سماية شاعرا**، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الانسانية، مج6، ع1، مارس 2021، ص ص81-90.

3 **عبد القادر المجاوي:**(1848-1914): من رموز العلم والإصلاح سليل أسرة تلمسانية "**قبيلة مجاوة**"، نشأ نشأة دينية خالصة، انتقل مع عائلته إلى المغرب الأقصى اين استكمل تحصيله العلمي في جامع القرويين، ومن اساتذته هناك محمد العلوي الفاسي ،محمد قنون، محمد بن جعفر الكتاني، ثم انتقل إلى الحجاز وتأثر بالحراك الثقافي والاصلاحي هناك ،بعد عودته للجزائر عام 1869 استقر بقسنطينة مدرسا بمساجدها، ثم اصبح مدرسا بالمدرسة الكتانية 1877، من تلامذته المولود بن الموهوب، وحمدان الونيسي، اشتغل المجاوي بالصحافة والتربية وعارض التجنس والاندماج، توفي عام 1914. للمزيد ينظر: **أعمال الملتقى الوطني بتلمسان: الشيخ عبد القادر المجاوي**، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، الجزائر 28-27نوفمبر 2011، ص 12.

4 **حمدان الونيسي:** من رواد النهضة التربوية والتعليمية في الجزائر، كان من أبرز تلامذة عبد القادر المجاوي، تلقى عليه عبد الحميد بن باديس مبادئ العلم الاولى وحفظ القرآن، هاجر إلى مكة المكرمة واستقر هناك. للمزيد أنظر: سعدالله ابو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، دار الغرب الاسلامي ص 225.

5 **أحمد حسين المهيري:** أصيل مدينة صفاقس (1894-1968) متعدد الثقافات درس بالزيتونة، ثم بالأزهر الشريف (1906)، في سنة 1920أصدر جريدة العصر الجديد التي كانت مناصرة للحزب الدستوري، غير أنها عطلت وحوكمت بسبب عدائها للاستعمار، حاول اصدار جرائد أخرى مثل "**الشعب**"، و"**إفريقيا**"، و"**صدى الصحافة** " لكن الاستعمار عطلها، فانقطع عن كل نشاط إلى وفاته. للمزيد أنظر محمد بوذينة، **مشاهير التونسيين**، ط 2، (1992)، دار سيرأس للنشر، تونس. ص 117.

6 **أبو بكر سعيد** (1899-1948): من مواليد بلدة المكنين، بالساحل التونسي تلقى تعليمه بالقرية ثم اشتغل بمكتب أحد المحامين (صالح فرحات وراجح إبراهيم) كان عصامي التكوين ومولعا منذ الصغر بقرض الشعر، أسهم في تحرير وإصدار عدة صحف والمجلات منها العالم سنة 1931، وتونس المصورة 1936 له ديوانان: السعيديات والزهرات. أنظر: محمد الصالح الجابري، ص279، محمد بوذينة، **مشاهير التونسيين**، ص 231. وحمادي الساحلي، **تراجم وقضايا معاصرة**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (2005) ص 81-86.

7 **الطيب بن عيسى** (1891-1965): من أصل جزائري ولد بتونس، درس بالزيتونة، وأسهم منذ نشأته في تحرير عدد من الصحف مطلع القرن العشرين في كل من تونس والجزائر منها جريدة المشير 1911 ثم جريدة الوزير في سنة 1922. وقد كان من الرعيل الأول الذي ساهم في الحركة الوطنية. أنظر محمد الصالح الجابري، **التواصل الثقافي...**، ص 279.

8 **حمزة بوكوشة:** وُلد الشيخ حمزة شنوف المدعو بوكوشة سنة 1907 م في سيدي عقبة ببسكرة، فتلقى العلم على علماء وفقهاء الزيبان مثل الشيخ إبراهيم بن عامر، وهناك تعلم مبادئ اللغة والفقه، وحفظ كتاب الله الكريم. لما بلغ السابعة عشر من عمره توجه نحو جامع الزيتونة بتونس عام 1923 لمواصلة تعليمه حتى 1930م أين تخرج بشهادة التطويع وعاد إلى الجزائر مترددا بين الوادي وبسكرة. ومما أثر في عقله ونفسه تعرفه في سنة 1927 م في مدينة بسكرة على الشيخ الطيب العقبي، كان من الذين حضروا المؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء في 5ماي 1931 بنادي الترقي، ثم انتدب لفرنسا كمرشد ديني للجالية الجزائرية عام1937.عام 1994. للمزيد ينظر: خضرة علي، "**المنهج الفكري والتربوي عند الشيخ: حمزة بوكوشة**"، مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، مج11، ع2 (2023)، ص6-7، وأيضا، عاشوري قمعون، **دور الشيخ حمزة بوكوشة في توعية المهاجرين الجزائريين بفرنسا عام1938**، دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج15، ع1(30 جوان 2015)، ص157-158.

9 **محمد الصادق بسيس** (1914-1978): رس محمد الصادق بسيّس بجامع الزيتونة حتى أحرز على شهادة العالمية، ثم التحق بهيئة التدريس بالفروع التابعة للتعليم الزيتوني، ثم درس بكلية الشريعة وأصول الدين. كتب محمد الصادق بسيس في الصحافة ومن بين الصحف التي ساهم فيها: الزهرة والنهضة والنديم ولسان العرب والفكر وجوهر الإسلام والصباح والعمل والبصائر الجزائرية... كما نشط محمد الصادق بسيس في الحياة الجمعياتية، وقد كان عضوا في جمعية الشبان المسلمين، كما عرف في الأربعينات بتحمسه الشديد للقضية الفلسطينية، حتى عرف بالشيخ بسيس الفلسطيني وفي 1936 ترأس جمعية الدفاع عن فلسطين العربية واستمرت مناصرته للقضية في الأربعينات وكان من أنشطة جمعيته فضلا عن الدعاية جمع التبرعات وتجنيد المتطوعين لتوجيههم إلى المشرق العربي.أنظر محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج1، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت –لبنان ،1982، ص98-102.

قائمة المصادر والمراجع

- أبوالقاسم سعدالله. (1985). **تجارب في أدب الرحلة** (الإصدار 1). الجزائر: دار الكتاب الوطنية.
- أحمد توفيق المدني. (1983). **حياة كفاح** (الإصدار 1). الجزائر، الجزائر: الشركة الوطنية للنر والتوزيع.
- الأرشيف الوطني التونسي. (1917). **مراقبة أشخاص**. الأرشيف الوطنب التونسي. تونس: تونس. تاريخ الاسترداد فيفري, 2017
- الأرشيف الوطني التونسي. (1920). **مراقبة أشخاص**. تونس: الأرشيف الوطني التونسي. تاريخ الاسترداد 2017
- الأرشيف الوطني التونسي. (1921). **مراقبة أشخاص**. تونس: تونس.
- الأرشيف الوطني التونسي. (1922). **تقرير استخباراتي**. تونس: الأرشيف الوطني التونسي.
- البصائر. (جانفي, 1937). **رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تونس**. جريدة البصائر(50)، 339.
- الشهاب. (سبتمبر, 1937). **مثال التآخي**. مجلة الشهاب، 13(7)، 339.
- الطيب العقبي. (فيفري, 1927). **عراقيل الاصلاح**، جرائد الجزائر لا تطبع في تونس. مجلة الشهاب، 3(114)، 276.
- الفلاج الجيلاني. (1924). **الشعب التونسي والتجنس**. تونس: مطبعة تونس.
- خير الدين شترة. (2009). **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية التونسية 1900-1939** (الإصدار 5). الجزائر: دار البصائر.
- سعيد أبوبكر. (ديسمبر, 1928). **شهران في عمالة قسنطينة**. لسان الشعب(326)، 3.
- صالح الزرويل. (مارس, 2022). **الشيخ إبراهيم حمدي أبو اليقظان القراري الجزائري(1888-1973)** مؤرخا. دورية كان التاريخية(55)، الصفحات 92-93.
- عبد الحميد بن باديس. (1937). **في سبيل وحدتنا أيضان تونس العزيزة**. مجلة الشهاب، 13(5)، 225.

- عبد الكريم طبيش. (2018). **زيارات ابن باديس إلى تونس بعيون وسائل أعلامها**. مجلة ميلاف للبحوث والدراسات(4)، صفحة 656.
- قادة الأحمر، وعطلاوي عبد الرزاق. (2017). **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس1913-1954. آفاق فكرية**، 3(7)، صفحة 244.
- محمد الخضر حسين. (شوال المبارك, 1904/1322). **الرحلة الجزائرية. السعادة العظمى**، 20-19، 1.
- محمد الخضر حسين. (2010). **موسوعة الأعمال الكاملة** (الرحلات) (الإصدار 1، المجلد ج11). الاردن: دار النوادر.
- محمد الخضر حسين. (2004). **خمس رحلات إلى الجزائر** (1932-1904) (الإصدار 1). (محمد الصالح الجابري، المحرر) لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- محمد الصالح الجابري. (1990). **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس** (الإصدار 1). بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- محمد الصالح الجابري. (2007). **رحلات جزائرية**. الجزائر: دار الحكمة.
- محمد بن القاضي. (1937). **اقتبال المجلة للشيخ عبد الحميد بن باديس**. المجلة الزيتونية، 1(5)، صفحة 263.
- محمد علي دبوز. (2007). **نهضة الجزائر وثورتها المباركة** (المجلد 2). الجزائر: وزارة الثقافة الجزائرية.
- محمد مواعدة. (1974). **محمد الخضر حسين، حياته وآثاره (1873-1958)**. تونس: الدار التونسية للنشر.
- يمينة بن رحال. (ديسمبر, 2018). **البعثات الميزابية إلى تونس ودورها في تفعيل النهضة الفكرية الجزائرية**. المجلة التاريخية الجزائرية(10)، صفحة 165.
- يوسف مناصرية. (1988). **الحزب الحر الدستوري**. بيروت: دار الغرب الإسلامي.